وظائف السياق الأدبية في تفسير الميزان

الأستاذ المساعد الدكتور رسول محمد جعفري
جامعة شاهد ـ قسم علوم القرآن والحديث ـ طهران ـ إيران
rasulmohamadjafari@yahoo.com
طالب الدكتوراه مرتضي اوحدي
جامعة مازندران ـ قسم علوم القرآن والحديث ـ مازندران ـ إيران
ohadi.morteza@gmail.com
طالبة الدكتوراه مريم غلامي
جامعة الزهراء ـ قسم اللغة العربيّة ـ طهران ـ إيران
mgholamy40@yahoo.com

The Function of Literary Context in Al-Mizan Interpretaion

Rasul Mohammad-jafari
Assistant Professor, Department of Qur'an and Hadith Sciences, University of Shahed , Tehran , Iran
Morteza Ohadi
Ph.D. student Department of Qur'an and Hadith Sciences, University of Mazandaran , Mazandaran , Iran
Maryam Gholamy
Ph.D. Student , Department of Arabic Language , University of alzahra , Tehran , Iran

الملخص:-

يتحقق الفهم الصحيح للآيات في ضوء التطبيق المنهجي للقواعد التفسيرية. ومن أهمّ تلك القواعد هو الافادة من السياق الّذي كان يستفيد منها المفسرون.يعدّ تفسير "الميزان في تفسير القرآن" من التفاسير المعاصرة التي استخدم بدقة ومنهجية قاعدة السياق، حيث استفادت فيه لتبيين الوظائف العديدة من مثل: تاريخ الآيات، وشرح مفهوم الآيات، وشرح وتعريف معنى الكلمات، وإلخ. وقد كتب العديد من الدراسات المختلفة لتفسيرها. ومن وظائف السياق المغفولة عنها في تفسير الميزان هي الافادة من السياق لتبيين القواعد الادبية. إذًا يحاول هذا البحث مستخدمًا منهج التوصيفي التحليلي أنْ يجيب إلى كيفية وظائف السياق الأدبية في تفسير الميزان. ونتائج البحث تشير إلى تبيين علم البلاغة بفروعه الثلاثة المعاني والبيان والبديع؛ والقضايا النحوية تتعلق باسم (المرفوعات، والمنصوبات والتوابع) والحروف (تعيين معانيها) معتمدًا على سياق الآيات. ولكن تمّ تقليل استخدامه في القواعد الصرفية. وقد يبدو أنّه مع نجاح العلامة في الافادة من السياق، فقد يحدث أخطأ في حالات قليلة من تحليله.

الكلمات المفتاحية: الميزان في تفسير القرآن - سياق الآيات - البلاغة - النحو - الصرف.

Abstract:-

The correct understanding of the verses in the light of the systematic application of the interpretative rules can be realized. One of the most important of these rules is the use of the style which has long been used by commentators Among the contemporary interpretations that have been used precisely and methodically from the base of the context is Al-Mizan fi Tafsir al-Qur'an which uses all over it for a variety of functions like, the date of the verses, explaining the concept of verses, explaining and determining the meaning of vocabulary and etc. And various studies have been written to explain them. Therefore, this descriptive-analytic method is seeking to answer this question that what are the literary functions in the interpretation of Al-Mizan? The research findings indicated that in the interpretation of al-Mizan by utilizing the style of the verses is abundant in the all three branches of science of rhetoric which are meanings, expressions and exquisite, syntax topics related to names(exterminators, appointments and functions). The discussion of the rules of Morphology are the smallest ones. It looks totally that Allameh Tabataba'i has been able to explain the literary sciences related to the verses by using the style although, he has gone wrong in the few cases.

Key words: Al-Mizan fi Tafsir al-Qur'an, style of the verses , rhetoric, syntax, morphology.

المقدمة:ـ

لقد عني المسلمون بالقرآن الكريم بعد نزوله ، ومن أهمّ الجهود الّتي بذلها المسلمون على عتبة القرآن هو كتابة الآيات وحفظها وفهمها. استخدم علماء من أصحاب النبي ﷺ والعلماء المعاصرين، في هذه الأثناء، طرقًا متنوعة لفهم الآيات وتفسيرها. ومن أهمّ تلك الطرق هو الافادة من سياق الآيات؛ و((السياق)) أصله سِوَاق، فقلبت الواو ياء لكسرة السّين، وهما مصدران من سَاقَ يَسُوقُ. (ابن اثير، ١٣٧٦ش: ٤٢٤/٢) قال ابن فارس السين والواو والقاف أصل واحد، وهو حَدْوُ الشَّيء يقال سَاقَه يَسُوقُه سَوْقا. والسَّيِّقَة: ما استِيق من الدوابّ. ويقال سُقْتُ إلى امرأتي صَدَاقها، وأسَقْتُه. (ابن فارس، ١٤٠٤ق: ١١٧/٣) والسياق في الاصطلاح هو: إنّ أفضل قرينة تقوم على حقيقة معنى اللّفظ موافقته لما سبق من القول، واتفاقه مع جملة المعنى، وائتلافه مع القصد الّذي جاء له الكتاب بجملته. (رشيدرضا، ١٤١٤ق، ج١: ٢٠) كانت كلّ الآيات تنزل لمناسبة تخصّها تستدعي وجود رابط بينها بالذات وهو الّذي يشكّل سياق الآية في مصطلحهم والمناسبة القائمة بين كلّ مجموعة من الآيات ممّا لا يكاد يخفى حتّى ولو كانت هي مناسبة التضاد. (معرفت، ١٤١٥ق، ج٥: ٢٣٩).

ويعدّ الميزان في تفسير القرآن من التفاسير الّتي اعتمدت على السياق لتفسير آيات القرآن، إذًا تمّ تنفيذ دراسات عديدة في مجال السياق في تفسير الميزان، في حين للسياق في هذا التفسير وظائف متعددة، منها: تاريخ الآيات، وشرح معنى الآيات، وشرح وتحديد معاني المفردات، وشرح ملائمة الآيات، ونقد الآراء، واختيار القراءة، واختيار مرجع الضمير، والنقد وتأييد الروايات وتبيين القوانين الأدبية. ومن ضمن تلك الوظائف اهتمّ العلامة الطباطبايي بتبيين قواعد البلاغة والنحو والصرف الأدبية معتمدًا على السياق. ومن هنا تبرز أهمية هذا البحث، حيث يحاول معتمدًا على المنهج التوصفي التحليلي الكشف عن كيفية وظائف السياق الأدبية في تفسير الميزان.

١ـ البلاغة

تمّ شرح العديد من الميزات البلاغية من فروع علم البلاغة أي المعاني، والبيان والبديع في الآيات القرآنية في تفسير الميزان معتمدًا على سياق الآيات الّتي سيتناول بالتفصيل.

١-١- المعاني

يعدّ علم المعاني أصول وقواعد يعرف بها أحوال الكلام العربي الّتي يكون بها مطابقًا لمقتضى الحال بحيث يكون وفق الغرض الّذي سيق له. (هاشمي، ١٣٨١ش: ٤٤؛ قاسم، د.ت: ٢٥٩) تمّ تبيين ١- الخبر والانشاء، ٢- القصر، ٣- الإيجاز و الإطناب في تفسير الميزان بالافادة من السياق في الآيات القرآنية.

١-١-١- الخبر والانشاء

تحدث العلامة الطباطبايي عن استخدام أساليب الاستفهام في غير معناه في قسم الخبر والانشاء، بالافادة من السياق.

١-١-١-١- استخدام الاستفهام في غير معناه

هناك العديد من الحروف والأسماء في اللغة العربية، لإنشاء الاستفهام. يعتقد العلماء البلاغة بأنّه كثيراً ما تستخدم هذه الألفاظ في معان غير الاستفهام بحسب ما يناسب المقام. (خطيب قزويني، د.ت: ١١٢) ومن ضمن تلك المعاني يمكن الاشارة إلى ((التهكم))، مثل قوله تعالى: ﴿أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا . . .﴾ (هود / ٨٧) (خطيب قزويني، د.ت: ١١٢) وقد أشار العلامة الطباطبايي بالافادة من السياق إلى استخدام هذا المعنى في الآيات القرآنية. حيث يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ﴾ (الانعام / ٥٣) كما أنّه ذكر بأنّ ((السياق يدلّ على أنّ معنى الاستفهام في قوله: ﴿أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا﴾ هو التهكم والاستهزاء.)) (الطباطبايي، ١٣٩٠ق، ج٧: ١٠٤).

كما يعتقد، أيضًا، الطبرسي بأنّ الاستفهام في هذه الآية يستخدم في غير معناه الأصلي، إلّا أنّه يعتقد بأنّ الاستفهام هنا بمعنى الإنكار، كأنّ المشركين ينكرون تقدّم المؤمنين عليهم في ممتلكاتهم أو ميزاتهم (الطبرسي، ١٣٧٢ ل ، المجلد ٤: ٤٧٤)، وكذلك ابن عاشور أيضًا يؤكّد المعنى نفسه (ابن عاشور، ١٤٢٠هـ، المجلد ٦: ١٢١) يبدو أنّ رأي العلامة يكون أكثر دقةً من الطبرسي وابن عاشور، ذلك لأنّه يعتقد بأنّ السبب في استهزاء المشركين هو كبرهم واحتقارهم للمؤمنين والفقر وعدم قدرتهم. وما يؤيّد تفوق رأي العلامة هو نهاية الآية حيث يقول سبحانه تعالى: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ﴾ فقد يعتقد العلامة بأنّ الجواب عن

استهزائهم تشير إلى الاستبعاد. (الطباطبايي، ١٣٩٠ق، ج٧: ١٠٤)

١-١-٢- القصر

القصر هو الحبس في اللغة، وفي الاصطلاح تخصيص شيء بشيء بطريق مخصوص. (تفتازاني، ١٣٧٦ش: ١١٥) سيتمّ في هذا القسم تبيين طرق القصر وأقسام القصر الاضافي.

١-١-٢-١- تبيين طرق القصر

للقصر أربعة طرق؛ أحدها طريق العطف، وثانيها النفي والاستثناء، وثالثها استخدام إنّما، ورابعها التقديم. (سكاكي، د.ت: ٤٠٠-٤٠٣) يشرح العلامة الطباطبايي في الميزان، في بعض الأحيان، الحصر في الآيات مع العناية بالسياق، دون أنْ تكون فيها طرق الحصر المعهودة؛ حيث كتب في شرح قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى﴾ (النجم/٤٣) ((الآية وما يتلوها إلى تمام اثنتي عشرة آية بيان لموارد من انتهاء الخلق والتدبير إلى الله سبحانه، والسياق في جميع هذه الآيات سياق الحصر وتفيد انحصار الربوبية فيه تعالى وانتفاء الشريك.)) (الطباطبايي، ١٣٩٠ق، ج١٩: ٤٨) بدأت هذه الآية والآيات التالية، بكلمة "أنّ"، الّتي تعني التركيز. فلم يتمّ استخدام أي من طرق الحصر المعهودة بين البلاغيين في هذه الآيات، إلّا أنّ العلامه الطباطبايي قام بغرس معنى الحصر معتمداً على سياق تلك الآيات الّذي يدلّ على التوحيد وهو ينحصر في ذات الله تعالى ولايشارك فيه أحد. وللمزيد من شواهد طرق القصر ينظر: (الطباطبايي، ١٣٩٠ق، ج١١: ١٩٦؛ ج١١: ١٨)

١-١-٢-٢- تبيين انواع القصر الاضافي

القصر الاضافي هو أنْ يختص المقصور بالمقصور عليه بحسب الإضافة والنسبة إلى شيء آخر معيّن. (هاشمي، ١٣٨١ش: ١٥٣) ينقسم القصر الإضافي حسب حال المخاطب إلى: أ- قصر الإفراد: إذا اعتقد المخاطب الشركة نحو إنّما اللّه إله واحد، ردًّا على من اعتقد أنّ اللّه ثالث ثلاثة. ب- قصر القلب: إذا اعتقد المخاطب عكس الحكم الّذي تثبته نحو: ما سافر إلّا علي، ردًّا على من اعتقد أنّ المسافر خليل لا علي. فقد قلبت وعكست عليه اعتقاده. ج- قصر التعيين: إذا كان المخاطب يتردّد في الحكم: كما إذا كان متردّداً في كون الأرض متحركة أو ثابتة، فتقول له: الأرض متحركة لا ثابتة، ردًّا على من شكّ وتردّد في

ذلك الحكم. (هاشمي، ١٣٨١ش: ١٥٦). ومن ضمن تلك الاقسام الثلاثة للقصر الاضافي، يقوم العلامه مستفيداً من سياق الآيات بتبيين قصر الافراد وقصر القلب.

١-١-٢-٢-١- قصر الافراد

كلمة ((إنّما)) في آية: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ (التوبة/١٨) تحصر الجملة، ولم يرد ذكر نوع الحصر الموجود في الآية في التفاسير، وإنّما أشار الى وجود الحصر في الآية. (ينظر: فخر الرازي، ١٤٢٠ق، ج١٦: ١١؛ الطبرسي، ١٣٧٢ ق، ج٥: ٢١) غير أنّ العلامة فضلًا عن الإشارة إلى وجود الحصر في الآية معتمداً على السياق، أكّد على أنّ نوع الحصر في الآية هو قصر الافراد؛ وكتب في شرحه: ((السياق كاشف عن أنّ الحصر من قبيل قصر الإفراد كان متوهمًا يتوهم أنّ للمشركين والمؤمنين جميعًا يعمروا مساجد الله فأفرد وقصر ذلك في المؤمنين.)) (الطباطبايي، ١٣٩٠ق، ج ٩؛ ٢٠١)

١-١-٢-٢-٢- قصر القلب

وقد أشار العلامة في تفسير آيات ٣٢ و ٣٣ سورة الهود: ﴿قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ * قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُمْ بِهِ اللَّهُ إِنْ شَاءَ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ إلى قصر القلب وذلك معتمداً على السياق، وهو يعتقد بأنّ جملة ﴿فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ هي طلب المشركين العذاب من نوح عليه السلام، وفي الآية التالية يجيب الله سبحانه: ليس ذلك إليه فإنّما هو رسول، أجاب نوح عليه السلام عن اقتراحهم في سياق قصر القلب، قائلًا: أنّ الإتيان بالعذاب ليس إليّ بل إنّما هو إلى الله فهو الّذي يملك أمركم فيأتيكم بالعذاب الّذي وعدتكموه بأمره فهو ربّكم وإليه مرجع أمركم كلّه، ولا يرجع إليّ من أمر التدبير شيء حتى أنّ وعدي إياكم بالعذاب واقتراحكم عليّ بطلبه لا يؤثّر في ساحة كبريائه شيئًا فإنْ يشأ يأتكم به وإنْ لم يشأ فلا. (الطباطبايي، ١٣٩٠ق، ج١٠: ٢١٦)

١-١-٣- الإيجاز والإطناب

الإيجاز هو أداء المقصود من الكلام بأقلّ من عبارات متعارف الأوساط، والإطناب: هو أداؤه بأكثر من عباراتهم، سواءً كانت القلة أو الكثرة راجعة إلى الجمل، أو إلى غير

الجمل. (سكاكي، د.ت: ٣٨٨)، لقد كثر استخدام أسلوبي الايجاز والاطناب في القرآن الكريم، مع أنّ السكاكي يعتقد بأنّ: الإيجاز والإطناب فلكونهما نسبيين، لا يتيسر الكلام فيهما إلّا بترك التحقيق والبناء على شيء عرفي. (سكاكي، د.ت: ٣٨٧). غير أنّ العلامه الطباطبايي يذهب إلى أنّ المرء يمكن أنْ يعثر على الايجاز والاطناب في الآيات القرآنية وذلك بالاعتماد على سياقها.

١-١-٣-١- الإيجاز

قال العلامة في تفسير آيات ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ * قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدْتُنَّ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ . . .﴾ (يوسف/ ٥٠-٥١) مبينًا الايجاز، قوله تعالى: ﴿قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدْتُنَّ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ﴾: جواب عن سؤال مقدر على ما في الكلام من حذف وإضمار إيجازًا كلّ ذلك يدلّ عليه السياق والتقدير: كان سائلًا يسأل فيقول: فما الّذي كان بعد ذلك؟ وما فعل الملك؟ فقيل: رجع الرسول إلى الملك وبلغه ما قاله يوسف وسأله من القضاء فأحضر النسوة وسألهن عمّا يهمّ من شأنهن في مراودتهن ليوسف: ما خطبكن إذْ راودتن يوسف عن نفسه؟ (الطباطبايي، ١٣٩٠ق، ج١١: ١٩٥) فقد أشار إلي الايجاز في هذه الآية بعض المفسرين مشابهًا لما قال العلامة. (انظر:ابوحيان، ١٤٢٠ق، ج٦: ٢٨٨؛ ابن عاشور، ١٤٢٠ق، ج١٢: ٧٧) وللمزيد من الشواهد في الايجاز ينظر: (الطباطبايي، ١٣٩٠ق، ج٧: ٣٢١)

١-١-٣-٢- الإطناب

للإطناب أنواع كثيرة (هاشمي، ١٣٨١ش: ١٨٣) منها: التكرير؛ وهو ذكر الشيء مرتين أو أكثر لأغراض، منها التأكيد وتقرير المعنى في النفس. (هاشمي، ١٣٨١ش: ١٨٤) شرح العلامة هذا النوع من الاطناب معتمداً على سياق الآيات، حيث يقول في شرح آية ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ أُولَٰئِكَ يَئِسُوا مِن رَّحْمَتِي وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (العنكبوت/ ٢٣) قائلًا: ﴿أُولَٰئِكَ يَئِسُوا مِن رَّحْمَتِي﴾ يفيد التصديق والاعتراف مضافًا إلى أصل الإخبار فيفيد صريح التعيين لأهل العذاب ويؤيّد ذلك أيضًا تكرار الإشارة وما في السياق من التأكيد. (الطباطبايي، ١٣٩٠ق، ج١٦: ١١٦) وكلمة ((أُولئِكَ)) تكرار لمعنى كلمة ((الَّذينَ)) في صدر الآية. يذهب

العلامة إلى أنّ كلمة ((أُولئكَ)) هي من باب الاطناب والتكرار والغرض منها التأكيد؛ وكلّ ذلك يعتمد على سياق الآية.

١-٢- البيان

إنّ البيان هو علم يعرف به إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في وضوح الدلالة من التشبيه والاستعارة والمجاز المرسل والكناية. (خطيب قزويني، د.ت: ٥) وقد تمّ تبيين الكناية في الآيات القرآنية في تفسير الميزان معتمداً على السياق.

١-٢-١- الكناية

الكناية هي لفظ يريد به لازم معناه مع جواز إرادة معناه حينئذ كقولك: ((فلان طويل النّجاد)) أي: طويل القامة. (خطيب قزويني، د.ت: ٢٤١) تنقسم الكناية بحسب المعنى الّذي تشير إليه إلى ثلاثة أقسام: ١- الكناية عن الصفة، ٢- الكناية عن الموصوف، ٣- الكناية عن النسبة. (هاشمي، ١٣٨١ش: ٢٨٠) ومن هؤلاء الثلاثة ذكر العلامة الطباطبايي شواهد كثيرة لتبيين الكناية عن النسبة. إنّ الكناية عن النسبة هي الكناية الّتي يراد بها نسبة أمر لآخر، إثباتًا أو نفيًا فيكون المكنى عنه نسبة، أسندت إلى ما له اتصال به. (هاشمي، ١٣٨١ش: ٢٨١) استشهد العلامة في تبيين هذا القسم من الكناية إلى السياق، ومثل ذلك في تفسير الآية التالية: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ (المائده/٢٥) فقد كتب بأنّ السياق يدلّ على أنّ قوله: ﴿إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي﴾ كناية عن نفي القدرة على حمل غير نفسه وأخيه على ما أتاهم به من الدعوة. فإنّه إنّما كان في مقدرته حمل نفسه على إمضاء ما دعا إليه وحمل أخيه هارون وقد كان نبيًا مرسلًا وخليفة له في حياته لا يتمرد عن أمر الله. (الطباطبايي، ١٣٩٠ق، ج٥: ٢٩٣) ينبغي أنْ يقال في تبيين كلام العلامة، بأنّ الله تعالى قد أعلن في بعض الآيات عدم امتلاك النبي محمد ﷺ، لنفسه في المصلحة والحرمان، الّذي يدلّ على التوحيد الأفعالي، حيث يقول: ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ (الأعراف / ١٨٨) يبدو أنّ هناك صراع بين هذه الآية وكلام موسى عليه السلام، وقد استخدم العلامة سياق الآية لتبيين الكناية في الآية وذلك لإنكار وجود الصراع بين الآيات. وفقًا لرأي العلامة واعتماداً على سياق الآية، فإنّ بيان موسى عليه السلام في انكار ملكيته إلّا على

نفسه وأخيه هارون، كان مرتبطًا بدعوة من الناس إلى الله، حيث يقول بعد إلقاء خطابه على عدم الملكية: ﴿فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ يُظهر طلب موسى عليه السلام على الخلاف بينه وشقيقه مع المعتدين بأنّهم لم يقبلوا دعوته. والسبب في استخدام مصطلح المعتدين هو تضليلهم وعدم اتباعهم دعوة موسى عليه السلام. (تعليق الحكم على وصف الفسق يدلّ على العلية) فلذلك كلام موسى عليه السلام يكني عن عدم ملكيته بالنسبة إلى هداية المعتدين، ولا يدلّ على ملكية النفع والضرر كما جاء في آية ٨٨ سورة الأعراف. وللمزيد من شواهد الكناية معتمداً على السياق ينظر: (الطباطبايي، ١٣٩٠ق، ج٩: ٧٥-٧٦؛ ج١٠: ٨٤؛ ج١٢: ٤٩؛ ج١٢: ١٦٥؛ ج١٢: ٢٣٢؛ ج١٣: ٣٩؛ ج١٨: ٤٩)

١-٣- البديع

إنّ البديع هو علم يعرف به وجوه تحسين الكلام، بعد رعاية المطابقة، ووضوح الدّلالة. (سبكي، د.ت، ج٢: ٢٢٤؛ صفي الدين الحلي، د.ت: ١١) يعتبر أسلوب التفات من مباحث علم البديع، حيث يلاحظ شواهد عديدة منه في تفسير الميزان بالاعتماد على السياق.

١-٣-١- التفات

لقد عبّر علماء البلاغة تعاريف عديدة لمفهوم مصطلح الالتفات، ولكن اتفقوا على أنّ الالتفات في المصطلح يعنى النقل أو الانسحاب من أسلوب إلى آخر، مثل: التغيير من المتلكلم إلى المخاطب، حيث يقول سبحانه وتعالى: ﴿لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (يس/٢٢) (رشيد فالح، ١٤٠٤ق: ٦٦)

فقد أشار العلامة الطباطبايي إلى عدد غير قليل من شواهد الالتفات في القرآن الكريم معتمداً على السياق منها: التفات من الغيبة إلى المتكلم، والتفات من الامر إلى الاستفهام، والتفات من المتكلم إلى الغيبة، والتفات من الغيبة إلى المتكلم، والتفات من متكلم الوحدة إلى متكلم مع الغير، والتفات من متكلم مع الغير إلى متكلم الوحدة، والتفات من الغيبة إلى الخطاب، والتفات من الجمع إلى المفرد. فقد يتمّ تبيين شاهد من أنواعها نظرًا إلى ضيق المجال هنا.

كتب العلامة في شرح آية ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي

الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ (الانعام / ٣٨) قد وقع في الآية التفات من الغيبة إلى التكلم مع الغير ثمّ إلى الغيبة بالنسبة إليه تعالى والتدبر فيها يعطي أنّ الأصل في السياق الغيبة وإنّما تحول السياق في قوله: ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ إلى المتكلم مع الغير لكون المعترضة خطابًا خاصًا بالنبي ﷺ فلمّا فرغ منه رجع إلى أصل السياق. (الطباطبايي، ١٣٩٠ق، ج٧: ٨٣)

فقد بيّن العلامة معتمدًا على السياق من صدر الآية حتّى نهايتها، أولًا تماسك الآية، ثانيًا التفاتين مختلفين في الآية. من وجهة نظره جملة: ﴿وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُم﴾ الّتي تكون بشكل الغيبة تشير إلى عظمة الله في العالم، وهو ما يعني أنّ لكلّ الكائنات الأرضية والمخلوقات في السماء، وهي الطيور، أمة، كما تكون لكلّ كائن بشري أمة. وقد أشار في آية ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ إلى وجود التفات من الغيبة إلى المتكلم مع الغير؛ وفي ختام الآية ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ يشير إلى التفات من متكلم مع الغير إلى الغيبة مستخدمًا كلمة ((رَبِّهِمْ)) أيضًا، استنادًا إلى النهج المتكامل في الآية، يؤمن العلامة بأنّ الآية نزلت في سياق الغيبة وجملة ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ تعتبر جملة اعتراضية في الآية.

٢ـ النحو

النحو هو القواعد الّتي يعرف بها أحوال ألفاظ العرب من حيث الإعراب والبناء. (حسيني، د.ت: ١٥؛ صفايي، ١٣٨٦ش: ١٦؛ هاشمي، د.ت: ١٤) وقد اهتمّ العلامة في تفسير الميزان على المباحث النحوية معتمدًا على السياق، حيث بيّن مباحث عديدة تتعلق بالاسم وقضاياه (المرفوعات، والمنصوبات والتوابع) والحروف وشرح معانيها.

١-٢- المرفوعات

١-٢-١- تبيين مرجع الضمير الفاعلي

إنّ الفاعل في معظم الآيات القرآنية يكون بشكل الضمير المستتر. وقد يصعب تعيين مرجع الضمير، ذلك لتطبيقه على عدد من المراجع. مثل آية: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ (الفاطر / ١٠) حيث يحتمل أنْ يكون مرجع الضمير في ((يَرْفَعُه)) بين ((الْعَمَلُ

الصَّالِحُ)) و((الْكَلِمُ الطَّيِّبُ)) و ((الله)) (زمخشري، ١٤٠٧ق، ج٣: ٦٠٢) ومن وجهة نظر العلامة تعدّ الافادة من السياق إحدى طرق تعيين مرجع الضمائر، وذلك مثل آية ﴿لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَنْ وُجُوهِهِمُ النَّارَ وَلَا عَنْ ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ * بَلْ تَأْتِيهِمْ بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾ (الانبياء/٣٩-٤٠) حيث يكتب في تبيين مرجع الضمير في ((تَأْتِيهِمْ)): الّذي يقتضيه السياق أنّ فاعل تأتيهم ضمير راجع إلى النار دون الساعة كما ذهب إليه بعضهم. (الطباطبايي، ١٣٩٠ق، ج١٤: ٢٨٩)

وقصد العلامة من ((بعضهم)) هو مفسرون من مثل: الطبرسي، وفخر الرازي، وابن جوزي والقرطبي الّذين يعتقدون بأنّ مرجع الضمير في فعل ((تَأْتِيهِمْ)) هو كلمة ((الساعة)) (الطبرسي، ١٣٧٢ش، ج٧: ٧٧؛ فخر الرازي، ١٤٢٠ق، ج٢٢: ١٤٦؛ ابن جوزي، ١٤٢٢ق، ج٣: ١٩١؛ القرطبي، ١٣٦٤ش، ج١١: ٢٩٠) ويبدو أنّ رأي العلامة هو صائب؛ ذلك لذكر كلمة "النار" صراحة، في الآية ٣٩ أولًا، ولا توجد إشارة إلى "الساعة" أو "القيامة" وما شابها، والأصل على عدم التقدير[1]. أي عندما يمكن تعيين مرجع الضمير في سياق الآية لا نقدر مفردة غير مذكورة فيها. والسبب الثاني هو، ذكر الله تعالى بداية عن عدم وجود قوة الكافرين لإطفاء النار، ثمّ أشار إلى دهشتهم في وقت الحريق. إذًا تعيين كلمة ((النَّار)) كمرجع للضمير سيكون أكثر توافقًا مع السياق. للمزيد من الشواهد في تبيين مرجع الضمير معتمداً على السياق ينظر: (الطباطبايي، ١٣٩٠ق، ج١٣: ٣٥ و ج٢٠: ١١٣)

١-٢-٢- نائب الفاعل

١-٢-٢-١- تبيين سبب حذف الفاعل

قال النحاة يجوز حذف الفاعل، إمّا للجهل به أو لغرض لفظي أو معنوي. (ابن هشام، د.ت ٢١١) فقد أشار العلامة معتمداً على سياق الآيات إلى سبب حذف الفاعل وحضور نائب الفاعل، حيث يقول في تفسير آية: ﴿مَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنْفُسِكُمْ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ (البقره/٢٧٢) أُبهم الفاعل في قوله: ((يُوَفَّ إِلَيْكُمْ)) لأنّ السياق سياق الدعوة فطوي ذكر الفاعل ليكون الكلام أبلغ في النصح وانتفاء غرض الانتفاع من الفاعل كأنّه كلام لا متكلم له، فلو كان هناك نفع فلسامعه لا غير. (الطباطبايي، ١٣٩٠ق، ج٢: ٣٩٩)

إنّ سبب عدم ذكر الفاعل وبيان الجملة مجهولًا، من وجهة نظر العلامة، هو أنّ الآية نزلت في سياق الدعوة إلى الخير للبشر فقط؛ حيث تشير ﴿ما تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنْفُسِكُمْ﴾ إلى أنّ الانسان هو الّذي تفيده الاتفاق ويزيل فكرة نفع الله تعالى من الانفاق. يعتقد بعض المفسرين بأنّه إنّما أبهم الفاعل في قوله تعالى يُوفَ لبيان أنّ الغرض من الانتفاع يعود إلى الفاعلين للإنفاق وأنّ نفع الإنفاق ليس أمرًا وهميًا بل هو أمر حقيقي واقعي يوفيه اللّه تعالى في الدنيا أو في الآخرة. (موسوي سبزواري، ١٤٠٩ ق، ج٤: ٣٨٢ و ٣٩٥) ويبدو أنّ رأي العلامة أدقّ من هذا، ذلك لأنّ في الآية الكلام هو عن افادة الانسان من الانفاق ﴿ما تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنْفُسِكُمْ﴾ ونقاء النية الخالصة في الانفاق ﴿وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ﴾ يتعلق بالانسان نفسه ولا الله سبحانه وتعالى. يتطلب مثل هذا السياق حذف الفاعل وهو الله، من أجل زوال فكرة نفع الله تعالى من الانفاق.

١-٢-٣- المبتدا والخبر

١-٢-٣-١- تبيين المبتدا والخبر

ذكر المفسرون في تبيين دور آية ﴿أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾ اعرابيًا في آيات: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ * أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ * فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾ (الواقعه / ١٠-١٢) وجوهًا من أهمّها: ١- أُولئِكَ الْمُقَرَّبُونَ المبتدأ والخبر والجملة استئناف بياني ٢- ((أُولئِكَ الْمُقَرَّبُونَ)) خبر ((السَّابِقُونَ)) الاول، ٣- ((أُولئِكَ الْمُقَرَّبُونَ)) الخبر ((السَّابِقُونَ)) الثاني (الطبري، ١٤١٢ق، ج٢٧: ٩٩؛ الزمخشري، ١٤٠٧ق، ج٤: ٤٥٨؛ آلوسي، ١٤١٥ق، ج١٤: ١٣٣)

فقد اختار العلامة الطباطبايي من الوجوه المحتملة الثلاثة، وجه الأول أي المبتدأ والخبر معتمدًا على السياق. أول الوجوه الثلاثة أوجه بالنظر إلى سياق تقسيم الناس إلى ثلاثة أزواج أولًا ثمّ تفصيل ما ينتهي إليه أمر كلّ منهم. (طباطبايي، ١٣٩٠ ق، ج١٩: ١٢٠) في شرح رآي العلامة يمكن القول بأنّ في آيات: ﴿وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً * فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ * وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ * وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ * أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ * فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾ (الواقعة/٧-١٢) أشار الله تعالى إلى تقسيم الناس في القيامة إلى ثلاثة أقسام، ثمّ يقوم

بتفصيل تلك الاقسام: ((أَصْحابُ الْمَيْمَنَةِ))، ((أَصْحابُ الْمَشْئَمَةِ)) و ((السَّابِقُونَ)). ثمّ يشرح مميزات كلّ قسم من الاقسام الثلاثة، ويبدأ شرحه من ((السَّابِقُونَ)) وهم أفضل الأقسام. والجملة المستخدمة بعدها هي المجلمة المستأنفة ولا ترتبط لفظيًا بجملة قبلها. والجدير بالذكر أنّ الزمخشري وآلوسي قبل العلامة أشارا إلى وجه العلامة المنتخب من اعراب الآية دون دكر سبب اختياره. (الزمخشري، ١٤٠٧ ق، ج٤: ٤٥٨؛ آلوسي، ١٤١٥ق، ج١٤: ١٣٣) وللمزيد من الشواهد لتبيين المبتدأ والخبر معتمدًا على السياق ينظر: (الطباطبايي، ١٣٩٠ ق، ج١٩: ١٢٢ و ج١٤: ٧٤)

١-٢-٣-٢- تبيين المبتدأ المحذوف

أشار المفسرون في تبيين دور كلمة ((الرَّحْمنُ)) نحويًا في آية ﴿الَّذِي خَلَقَ السَّماواتِ وَالْأَرْضَ وَما بَيْنَهُما فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمنُ فَسْئَلْ بِهِ خَبِيراً﴾ (الفرقان/٥٩) أربعة أوجه؛ أحدها الابتداء وخبره ((فَسْئَلْ بِهِ))؛ والثاني هو أنْ يكون خبر لمبتدأ محذوف أي هو الرحمن؛ والثالث أنْ يكون بدلًا من الضمير المستكن في استوى؛ والرابع هو أنْ يكون فاعل لاستوى. (نحاس، ١٤٢١ ق، ج٣: ١١٤؛ الزمخشري، ١٤٠٧ ق، ج٣: ٢٨٩؛ الطبرسي، ١٣٧٢ ش، ج٧: ٢٧٢؛ ابوحيان، ١٤٢٠ ق، ج٨: ١٢١) يختار العلامة الطباطبايي من الوجوه الأربعة معتمدًا على السياق ونظم الآيات الوجه الثاني، لذلك يكتب: ((الرَّحْمنُ فَسْئَلْ بِهِ خَبِيراً)) فالّذي يعطيه السياق ويهدي إليه النظم أنْ يكون الرحمن خبرا لمبتدأ محذوف والتقدير هو الرحمن (الطباطبايي، ١٣٩٠ ق، ج١٥: ٢٣٣)، ولا يعترف العلامة على الوجوه الأخرى معتمدًا على السياق. (الطباطبايي، ١٣٩٠ ق، ج١٥: ٢٣٤)

ستبين دقة رأي العلامة من خلال التفكير في الآية السابقة الّتي تشكل سياق واحد مع هذه الآية: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفى بِهِ بِذُنُوبِ عِبادِهِ خَبِيراً * الَّذِي خَلَقَ السَّماواتِ وَالْأَرْضَ وَما بَيْنَهُما فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمنُ فَسْئَلْ بِهِ خَبِيراً﴾ (الفرقان/٥٨-٥٩) تبرز في هاتين الآيتين مميزات ((الْحَيِّ)) الثلاثة: ١- ((الَّذِي لا يَمُوتُ)) ٢- ((الَّذِي خَلَقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ)) ٣- ((اسْتَوى عَلَى الْعَرْشِ)) فلذلك بعد كلّ هذه الأوصاف يجدر تقديم الشخص الّذي يمتلك هذه الصفات بشكل واضح باسم "الرحمن" - الّذي عرفه

المشركين.[٢] وستحقق هذه الحقيقة عندما تكون ((الرَّحْمنُ)) خبر لمبتدأ ((هو)) المحذوف، وفي نهاية الآية الثانية بعبارة ((فَسْئَلْ بِهِ خَبِيراً))، أصبح الرسول (ص) مأموراً للسؤال من ((الرَّحْمنُ)). وللمزيد من الشواهد لمبتدأ المحذوف معتمداً على السياق ينظر: (الطباطبايي، ١٣٩٠ ق، ج١٢: ٦ و ج١٤: ٧)

٢-٢- المنصوبات

٢-٢-١- تبيين الناصب

هناك أسباب عديدة للنصب في بعض الآيات القرآنية، مثل كلمة: ((ذُرِّيَّةَ)) في آية: ﴿وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكِيلًا * ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ (الاسراء / ٢-٣) وقد ذكر أربعة أوجه لنصب كلمة ((ذُرِّيَّةَ))؛ الاول منها هو نداء مضاف، والثاني هو بدل من وكيل، والثالث: هي أي ((ذُرِّيَّةَ)) ووكيل مفعولان كما تقول: لا تتخذ زيداً صاحباً، والرابع أنّها منصوب على الاختصاص (نحاس، ١٤٢١ ق، ج٢: ٢٦٥؛ عكبري، ١٤١٩ ق: ٢٣٥؛ فخر الرازي، ١٤٢٠، ج٢٠: ٢٩٨؛ بيضاوي، ١٤١٨ ق، ج٣: ٢٤٨؛ الطبرسي، ١٣٧٢ ش، ج٦: ٦٠٨) وقد أكّد بعض المفسرين من الوجوه المذكورة على وجهين، والبعض على ثلاثة وجوه، والبعض منهم أربعة أوجه. وما اختاروا احدهم وجه واحد بالصراحة. غير أنّ العلامة الطباطبايي معتمداً على سياق الآيات فقد اختار وجه واحد لكلمة ((ذُرِّيَّةَ))، حيث يكتب بأنّ ((ذُرِّيَّةَ)) على ما يهدي إليه السياق منصوبة على الاختصاص ويفيد الاختصاص عناية خاصة من المتكلم به في حكمه فهو بمنزلة التعليل كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ (الأحزاب / ٣٣) أي ليفعل بكم ذلك لأنّكم أهل بيت النبوة (الطباطبايي، ١٣٩٠ ق، ج١٣: ٣٧) كما قال النحاة من المنصوب مفعول به بفعل واجب الإضمار ما نصب على الاختصاص بتقدير (أعني) بعد ضمير المتكلّم، وقلّ بعد المخاطب. (سيوطي، د.ت: ص١١٥) وللاختصاص ثلاثة أركان: المختص الاسم الواقع بعد الضّمير، والضمير الخاص بالمتكلّم أو المخاطب والفعل المحذوف تقديره: ((أخصّ)) أو ((أعني)). (بابتي، د.ت، ج١: ٦٠) تبدو دقة وجهة نظر العلامة معتمداً على سياق الآيات، حيث لا يقتصر الأمر في وجود الألفاظ الاختصاص، بل إنّ

((ذُرِّيَّةَ)) هو اسم مختص يقع بعد الضمير. وهناك في فعل ((تَتَّخِذُوا)) ضمير مخاطب ((واو)) ويمكن تقدير فعل محذوف ((أخصّ))، أو ((أعني)). بل جاء الحديث عن بني إسرائيل أي ذرية نوح عليه السلام معنويًا في آيات ((ذُرِّيَّةَ)) وبعدها.كما نوقشت بشكل دلالي في الآيات قبل وبعد "نسل" بني إسرائيل ، أحفاد نوح عليه السلام. وفي مثل هذا السياق الخطاب خاص لبني اسرائيل مستعينًا بالاختصاص سيكون أفضل من سائر الوجوه. خاصةً عندما يشير العلامة إلى أنّ آية ٣٣ من سورة الاحزاب (آية التطهير) تؤيّد وجهه الاعرابي المختار. والجدير بالذكر أنّ الزمخشري اختار الاختصاص وجهًا وحيدًا لكلمة ((ذُرِّيَّةَ)). (الزمخشري، ١٤٠٧ ق، ج٢: ٦٤٨)

٢-٢-٢- المفعول به

٢-٢-٢-١- تعيين المفعول به

لبعض الأفعال أكثر من المفعول به، وقد استخدمت هذه الأفعال في العديد من آيات القرآن. وفي بعض الأحيان يواجه الدارس صعوبة في تبيين المفعول به. وقد تختلف آراء بعض المفسرين في تبيين بعض شواهد المفعول به. ومن فوائد السياق هو تحديد هذه المفاعيل. أفاد منه العلامة الطباطبايي خير افادة. من مثل تفسيره في آية ﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا﴾ (الفرقان / ٤٣) حيث يعتبر فعل ((اتَّخَذَ)) من الافعال الّتي تأخذ مفعولي، وهناك الخلاف بين المفسرين في تحديد مفعوليه. فقد يذهب البعض إلى أنّ ((هَواهُ)) هو المفعول به الاول و((إِلهَهُ)) هي المفعول به الثاني، قائلًا: قدّم على الأول للعناية، كما تقول: علمت منطلقًا زيدًا، لفضل عنايتك بانطلاقه (بيضاوي، ١٤١٨ق، ج٤: ١٢٥؛ زركشي، ١٤١٠ق، ج٣: ٣٤٧؛ سيوطي، ١٤٢١ق، ج١: ٦٢٤) أمّا العلامة فقد يردّ هذا الرأي ويعتقد على نظمه الطبيعي ((إِلهَهُ)) المفعول الأول و((هَواهُ)) هو المفعول الثاني له. هذا يلائم السياق وذلك أنّ الكلام حول شرك المشركين وعدولهم عن عبادة الله إلى عبادة الأصنام وإعراضهم عن طاعة الحق الّتي هي طاعة الله إلى طاعة الهوى الّذي يزيّن لهم الشرك وهؤلاء يسلمون أنّ لهم إلهًا مطاعًا وقد أصابوا في ذلك، لكنّهم يرون أنّ هذا المطاع هو الهوى فيتخذونه مطاعًا بدلًا من أنْ يتخذوا الحق مطاعًا فقد وضعوا الهوى موضع الحق لا أنّهم وضعوا المطاع موضع غيره. (الطباطبايي، ١٣٩٠ق، ج١٥: ٢٢٣) والجدير بالذكر أنّ

بعض المفسرين القدماء يعتقدون على النظم الطبيعي للآية، وكتبوا: "إِلهَهُ" المفعول الأول لـ "اتخذ"، و "هَواهُ" المفعول الثاني. (ابوحيان، ١٤٢٠ق، ج٨: ١١٠) وللمزيد من شواهد المفعول به معتمداً على السياق ينظر: (الطباطبايي، ١٣٩٠ق، ج١٢: ٢٦٢؛ ج١٨: ٢١٤؛ ج١: ٤٠٨)

٢-٢-٢-٢- تبيين المفعول به المحذوف

تمّ حذف المفعول به في عدد من آيات القرآن الكريم، وقد يتمسك العلامة في تبيين المفعول به المحذوف إلى سياق الآيات. مثلًا في آية ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ﴾ (سبأ /٢٢) لم يذكر مفعولي فعل ((زَعَمْتُمْ)). وقد كتب العلامة في تبيين مفعولي فعل((زَعَمْتُمْ)) بأنّ: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي ادعوا الّذين زعمتموهم آلهة من دون الله- فمفعولا ((زَعَمْتُمْ)) محذوفان لدلالة السياق عليهما. (الطباطبايي، ١٣٩٠ق، ج١٦: ٣٧٠)

وفي شرح كلام العلامة يجب أنْ يقول أنّ المفعول به الاول في ((زَعَمْتُمْ)) الضمير المحذوف الراجع منه إلى الموصول أي: "الَّذِينَ" (الطبرسي، ١٤١٢ق، ج٣: ٣٤٩) فقد حذف لطول الموصول بصلته. (بيضاوي، ١٤١٨ق، ج٤: ٢٤٦)؛ والمفعول الثاني إمّا أنْ يكون ((مِنْ دُونِ اللَّه)) أو ((لا يَمْلِكُونَ)) أو محذوفًا. (الطبرسي، ١٤١٢ق، ج٣: ٣٤٩) على أساس رأي العلامة ومعتمداً على سياق الآيات من الوجوه الثلاثة للمفعول به الثاني، لا يصحّ الأول، لأنّ قولك: هم من دون اللّه، لا يلتئم كلامًا، ولا الثاني، لأنّهم ما كانوا يزعمون ذلك، فكيف يتكلمون بما هو حجة عليهم، فبقى أنْ يكون محذوفا تقديره: زعمتموهم آلهة من دون اللّه. (الزمخشري، ١٤٠٧ق، ج٣: ٥٧٩) وللمزيد من الشواهد ينظر: (الطباطبايي، ١٣٩٠ق، ج١٣: ٢٦٣؛ ج١٩: ٩٤؛ ج٢٠: ص٦٩)

٢-٢-٣- المفعول فيه

لابدّ لشبه الجملة (الجار و المجرور أو الظرف) من متعلّق يتعلّق به (اميل، ١٣٦٧: ٢٦١)، ومن وظائف السياق النحوية في تفسير الميزان هي استخدامه لشرح متعلق المفعول فيه (الظرف)، مثل تعيين متعلق ((إِذْ)) في: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي * إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَنْ يَكْفُلُهُ . . .﴾ (القصص / ٣٩-٤٠) هناك رأيان: ظرف لـ ((أَلْقَيْتُ)) أو

((لِتُصْنَعَ)) (الزمخشري، ١٤٠٧ق، ج٣: ٦٤؛ بيضاوي، ١٤١٨ق، ج٤: ٢٧)

يعتقد العلامة بأنّ الظرف على ما يعطيه السياق متعلق بقوله: ((وَ لِتُصْنَعَ))؛ والمعنى: وألقيت عليك محبة مني يحبك كلّ من يراك لكذا وكذا وليحسن إليك بمرأى مني وتحت مراقبتي في وقت تمشي أختك لتجوس خبرك وترى ما يصنع بك فتجد عمال فرعون يطلبون مرضعاً ترضعك. (الطباطبايي، ١٣٩٠ق، ج١٤: ١٥١) وقد بدا صحة رأي العلامة معتمداً على سياق الآيات؛ ذلك لأنّ جملة ((إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ ...)) تشير إلى نمو موسى عليه السلام تحت عناية الله تعالى "لِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي" ولم تشر إلى محبة موسى عليه السلام إلى الله وذلك في حين تعلقه بـ ((وَ أَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي))، حيث لاتبدو علاقة واضحة بين ((أَلْقَيْتُ)) و ((إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ ...))، والسبب في ذلك عدم وجود علاقة معنوية محكمة بين احضار محبة الله في قلب موسى عليه السلام وذهاب أخت موسى عليه السلام ورائه. وللمزيد من الشواهد ينظر: (الطباطبايي، ١٣٩٠ق، ج١٥: ٤٠٢؛ ج٢٠: ٩؛ ج٢٠: ١٨٥)

٢-٢-٤- الحال

هناك خلاف بين المفسرين في تبيين دور ومرتبة كلمة ((قَيِّماً)) في آية ثانية من سورة الكهف: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجَاً * قَيِّماً لِيُنْذِرَ بَأْساً شَدِيداً مِنْ لَدُنْهُ . . .﴾، وقد اعتقد قدماء المفسرين على التقديم والتاخير في ((قَيِّماً)) واعتبروها حالًا لذى حاله ((الْكِتابَ))، عن مجاهد في قوله: أَنْزَلَ عَلى عَبْدِهِ الْكِتابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجاً قال: هذا من التقديم والتأخير، أنزل على عبده الكتاب قيما ولم يجعل له عوجًا. (ابن ابي حاتم، ١٤١٩ق، ج٧: ٢٣٤٤) وفي تفسير القمي: هذا مقدم ومؤخر لأنّ معناه الّذي أنزل على عبده الكتاب قيمًا ولم يجعل له عوجًا (قمي، ١٣٦٣ش، ج٢: ٣٠) وتمّ نقد هذا الوجه بقوله: في هذا الوجه ضعف؛ لأنّه يلزم منه التفريق بين بعض الصلة وبعض؛ لأنّ قوله تعالى: ((وَلَمْ)) معطوف على أنزل. (عكبري، ١٤١٩ق: ٢٤٢)

كتب الزمخشري، والطبرسي وابوحيان الاندلسي في وجه ((قَيِّماً)) اعرابيًا: الأحسن أنْ ينتصب بمضمر ولا يجعل حالًا من الكتاب، لأنّ قوله وَلَمْ يَجْعَلْ معطوف على أنزل فهو داخل في حيز الصلة، فجاعله حالًا من الكتاب فاصل بين الحال وذى الحال ببعض الصلة. (الزمخشري، ١٤٠٧ق، ج٢: ٧٠٢؛ الطبرسي، ١٤١٢ق، ج٢: ٣٥٢؛ ابوحيان، ١٤٢٠، ج٧: ١٣٥)

أمّا العلامة الطباطبايي فقد اعتقد بأنّ ((عِوَجاً)) حال بالاعتماد على السياق؛ كما أنّه يذهب إلى أنّ مكانة ((عِوَجاً)) في الجملة تكون على نظمها الطبيعي ويردّ التقديم والتأخير فيها. فلذلك يقول: ((قَيِّماً)) حال بعد حال على ما يفيده السياق. (الطباطبايي، ١٣٩٠ق، ج١٣: ٢٣٧)، وعلى أساس رأي العلامة للكتاب حالان معتمداً على السياق. حيث تعتبر جملة ((وَ لَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجاً)) الحال الأول، الّتي تصدر بـ " واو " الحالية، وتعتبر كلمة ((قَيِّماً)) الحال الثاني؛ ولا يستبعد أنْ تكون الحال الأول جملة والحال الثاني المفرد؛ حيث يلاحظ مثل هذا الترتيب في الآيات القرآنية الأخرى، من مثل: ﴿وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَاشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ﴾ (الشورى / ٤٥) وقد كتب العلامة في تبيين سبب اختيار هذا الوجه الاعرابي على أساس السياق: فإنّه تعالى في مقام حمد نفسه من جهة تنزيله كتاباً موصوفاً بأنّه لا عوج له وأنّه قيم على مصالح المجتمع البشري فالعناية متعلقة بالوصفين موزعة بينهما على السواء وهو مفاد كونهما حالين من الكتاب. (الطباطبايي، ١٣٩٠ق، ج١٣: ٢٣٧) والجدير بالذكر أنّ بعض المفسرين القدماء اختاروا هذا الوجه الاعرابي. (فخر الرازي، ١٤٢٠ق، ج٢١: ٤٢٣) وللمزيد من الشواهد ينظر: (الطباطبايي، ١٣٩٠ق، ج٨: ٧٤؛ ج١٠: ١٢٢؛ ج١٥: ١٥٣؛ ج١٥: ص٣٤٥؛ ج١٦: ١٧٨)

٢-٢-٥- الاستثناء

هناك خلاف في الوجه الاعرابي لكلمة ((امْرَأَتَكَ)) بين المفسرين في آية ﴿قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا امْرَأَتَكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ﴾ (هود /٨١)؛ قرأ ابن كثير وأبو عمر "إِلَّا امْرَأَتُكَ" بالرفع والباقون بالنصب. (فخرالرازي، ١٤٢٠ق، ج١٨: ٣٨١)؛ في قراءة من قرأ بالرفع، الفصيح هو البدل فأبدلها عن ((أَحَدٌ))[٣] وأمّا وجه قراءة من قرأ بالنصب، استثناها من قوله ((بِأَهْلِكَ)) (الزمخشري، ١٤٠٧ق، ج٢: ٤١٦؛ فخر الرازي، ١٤٢٠ق، ج١٨: ٣٨١) وجوزوا أنْ يكون منصوباً على الاستثناء من ((أَحَدٌ)) وإنْ كان قبله نهى، والنهي كالنفي على أصل الاستثناء كقراءة ابن عامر: ما فعلوه إلّا قليلًا منهم بالنصب وإنْ كان قبله نفي. (ابوحيان، ١٤٢٠ق، ج٦: ١٨٩) إذاً ذكر وجوه ثلاثة لكلمة ((امْرَأَتَكَ)): ١- بدل من كلمة ((أَحَدٌ)) (بضم التاء في ((امْرَأَتُكَ))، ٢- الاستثناء من

كلمة ((بِأَهْلِكَ))، ٣- الاستثناء من كلمة ((أَحَدٌ)). ومن وجهة نظر العلامة ظاهر السياق أنّ ((امْرَأَتَكَ)) استثناء من قوله: ((بِأَهْلِكَ)) لا من قوله: ((أَحَدٌ)) وفي قوله: (إِنَّهُ مُصِيبُها ما أَصابَهُمْ) بيان السبب لاستثنائها وقال تعالى في غير هذا الموضع: (إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنا إِنَّها لَمِنَ الْغابِرِينَ) (الطباطبايي، ١٣٩٠ق، ج١٠: ٣٤٣) وتبدو صحة رأي العلامة المنتج من سياق الآية مستفيداً الآيات الأخرى. والسبب فيها قراءة الرفع هي خلاف لقراءة المشهور، كما يلاحظ أولًا في آية ٦٠ من سورة الحجر، قرأت كلمة ((امْرَأَتَهُ)) بالنصب؛ الّتي تشبه كلمة ((امْرَأَتَكَ)) في هذه الآية ـ والثاني هو أنّ نصب كلمة ((امْرَأَتَكَ)) كاستثناء لكلمة ((أَحَدٌ)) أرجح، ذلك لأنّ عندما يكون الاستثناء متصل وغير موجب، من الأرجح أنْ يكون اعراب المستثنى بدل من المستثنى منه، وفي هذه الحالة رفع ((امْرَأَتَكَ)) أفضل. والثالث أنّ على أساس السياق جملة (إِنَّهُ مُصِيبُها ما أَصابَهُمْ) الّتي تشير إلى ابتلاء زوجة لوط عليه السلام بالعذاب كسائر الناس. وهذا يدلّ على استثناء ((امْرَأَتَكَ)) من((بِأَهْلِكَ)). وللمزيد من الشواهد ينظر: (الطباطبايي، ١٣٩٠ق، ج١٢: ١٨٢؛ ج٤: ٣١٨؛ ج١٣: ٢٠١)

٣-٢- التوابع

٣-٢-١- الصفة

يعدّ شرح الصفات في الآيات من وظائف السياق الأدبية أخرى في تفسير الميزان. وعلى سبيل المثال في آية: ﴿لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَّكُمْ﴾ (النور /٢٩)، ذكر بعض المفسرين لجملة ((فيها مَتاعٌ لَكُمْ)) وجهي اعرابيين؛ صفة للبيوت أو استئناف جار مجرى التعليل لنفي الجناح. (آلوسي، ١٤١٥ق، ج٩: ٣٣٢) وقد اعتبرها العلامة الطباطبايي معتمداً على السياق الصفة؛ ويردّ العلامة استينافية الجملة وتعليليتها لجملة ((لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُناحٌ)) ويقول: ظاهر السياق كون قوله: ((فيها مَتاعٌ لَكُمْ)) صفة بعد صفة لقوله: ((بُيُوتاً))، لا جملة مستأنفة معللة لقوله: ((لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُناحٌ))(الطباطبايي، ١٣٩٠ق، ج١٥: ١١٠) ويعتبر العلامة كلمة ((غَيْرَ)) الصفة الأولى لـ ((بُيُوتاً)) وجملة ((فيها مَتاعٌ لَكُمْ)) جملة وصفية والصفة الثانية لـ ((بُيُوتاً)). ولو يقبل استيناف وتعليل جملة ((فيها مَتاعٌ لَكُمْ)) لقوله: ((لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُناحٌ))؛ فتأذن الآية الدخول في البيوت غير المسكونة، في حين أنّ سياق الآية يخالف هذا المعنى. ذلك لأنّ الله تعالى معتمداً على السياق

سمح الدخول إلى بيوت لها مميزتان: الأول منها أنْ تكون ((غَيْر مَسْكُونَة)) والثاني ((فيها مَتاعٌ لَكُمْ)). ولقد تؤكّد على ذلك بعض الروايات؛ ذلك لأنّ مصاديق ((بُيُوتاً)) في الروايات لها مميزتان: ((لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُناحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتاً غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيها مَتاعٌ لَكُمْ قَالَ الصَّادِقُ عليه السلام هِيَ الْحَمَّامَاتُ وَالْخَانَاتُ وَالْأَرْحِيَةُ تَدْخُلُهَا بِغَيْرِ إِذْنٍ)) (القمي، ١٤٠٤ق، ج٢: ١٠١) وللمزيد من الشواهد ينظر: (الطباطبايي، ١٣٩٠ق، ج١٥: ٢٣٣؛ ج١٧: ٣٢٨)

٣-٢-٢-عطف النسق

ذكر المفسرون في تعيين المعطوف عليه كلمة ((الْأَرْحامَ)) وجوه عدّة في آية ﴿...وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسائَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحامَ إِنَّ اللَّهَ كانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾ (النساء /١) ومن أهمّ تلك الوجوه يمكن الاشارة إلى وجهين: أحدهما؛ أنْ يكون معطوفًا على محل الجار والمجرور ((بِهِ))، كقولك: ((مررت بزيد وعمراً))، ثانيهما؛ أنْ يكون معطوفًا على ((اللَّهَ)) وتقديره ((واتقوا اللّه والأرحام)) (الزمخشري، ١٤٠٧ق، ج١: ٤٦٢-٤٦٣؛ البيضاوي، ١٤١٨ق، ج٢: ٥٨؛ الطبرسي، ١٣٧٢ش، ج٣: ٤) وقد اختار العلامة الطباطبايي معتمداً على سياق الآيات ودأب القرآن، الوجه الثاني ويردّ الوجه الأوّل. يعتقد العلامة بأنّه لو نعطف ((الْأَرْحامَ)) على محل الجار والمجرور فضلًا عن اشكال النحويون حيث يجب تكرار حرف الجر فيها[٤]، هناك تعارض مع سياق الآية. ذلك لأنّ في حال قبول هذا الوجه، يمكن أنْ تكون كلمة ((الْأَرْحامَ)) صلة لـ ((الّذي))، وتقدير الكلام هو: ((واتقوا الله الّذي تساءلون بالأرحام)) ويلزم أنْ تعود الصلة إلى الموصول دون ضمير عائد إلى الصلة، في حين عود الصلة إلى الموصول دون الضمير غير مسموح. (الطباطبايي، ١٣٩٠ق، ج٤: ١٣٧) ويؤدّي إلى أنْ تكون ((الّذي تساءلون بالأرحام)) صفة لـ ((الله)) ولا تظهر معنى الآية هكذا. وللمزيد من الشواهد ينظر: (ج٧: ٢٧٩؛ ج١٢: ٢٧٦؛ ج١٣: ٤٨؛ ج١٤: ٣٣٠؛ ج١٤: ٣٩٣؛ ج١٥: ١٦٥؛ ج١٥: ٢٠٥؛ ج١٨: ٢١٤؛ ج١١: ٣٦٠؛ ج١١: ٣٤٢)

٤-٢- تعيين معاني الحروف

للحروف في اللغة العربية أنواع مختلفة ولمعظمها عدد من المعاني. يعدّ تعيين معنى من المعاني للحروف من وظائف السياق في تفسير الميزان. نظرًا لضيق المجال، فقد اختير دراسة

شاهد من الشواهد الكثيرة.

يقدّم المفسرون في مجال "الواو" في آية ﴿يا أَيُّهَا الرَّسُولُ لا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قالُوا آمَنَّا بِأَفْواهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ . . .﴾ (المائدة / ٤١) رأيين: ١- الاستيناف، ٢- العطف. ويرجح البعض منهم استينافية "الواو" من مثل: (الزمخشري، ١٤٠٧ق، ج١: ٦٣٣؛ الطبرسي، ١٤١٢ق، ج١: ٣٢٩؛ ابوحيان، ١٤٢٠ق، ج٤: ٢٦٠) والبعض الآخر يرجحون "الواو" عطفًا، من مثل: (عكبري، ١٤١٩ق: ١٢٧؛ البيضاوي، ١٤١٨ق، ج٢: ١٢٦) أمّا العلامة الطباطبايي يرجح عطف "الواو" معتمدًا على سياق الآية. (الطباطبايي، ١٣٩٠ق، ج٥: ٣٤٠) وفي هذه الآية، يشجع الله رسوله على أنْ لا يؤدّي تسارع الكفر في الكفار سبب حزنه، ثمّ قدّم هؤلاء الكافرين في الآية. إذًا قدّم الله تعالى الكفار باستخدام حرف ((مِن)) بمعنى التبيين مرتين. تقدم المجموعة الأولى المنافقين أو أولئك الّذين يؤمنون باللسان وقبلهم يخلو من الإيمان ﴿مِنَ الَّذِينَ قالُوا آمَنَّا بِأَفْواهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ﴾ والمجموعة الثانية تعتبر من اليهود الّذين يستمعون إلى الباطل مع العلم بأنّه باطل ﴿وَمِنَ الَّذِينَ هادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ. . .﴾ (الطباطبايي، ١٣٩٠ق، ج٥: ٣٤٠) ومثل هذا السياق يشير إلى أنّ "الواو" عطف ولا الاستيناف. لو يعتبر "الواو" استينافًا سيكون معنى حرف ((مِن)) في ﴿وَمِنَ الَّذِينَ هادُوا﴾ التبعيض، كما يلاحظ في آية ٤٦ من سورة النساء: ﴿مِنَ الَّذِينَ هادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَواضِعِهِ . . .﴾ حرف ((مِن)) يشير إلى معنى التبعيض.

وللمزيد من الشواهد لتعيين معنى حرف ((واو)) معتمدًا على السياق ينظر: الطباطبايي، ١٣٩٠ق، ج٧: ٣١٩؛ ج١٠: ٣٠٣- ٣٠٤؛ ولتعيين معنى ((مِن)) ينظر: الطباطبايي، ١٣٩٠ق، ج٨: ٢٤٥؛ ج٩: ٢٣٧؛ ج١٢: ٢٣١؛ ج٢٠: ٢٧؛ ولتعيين معني ((لام)) ينظر: (الطباطبايي، ١٣٩٠ق، ج٩: ٢٠؛ ولتعيين معني ((لولا)) ينظر: الطباطبايي، ١٣٩٠ق، ج١٠: ١٢٥؛ ولتعيين معني ((اَن)) ينظر: الطباطبايي، ١٣٩٠ق، ج١٠: ١٩٩؛ ولتعيين معني ((اِنْ)) ينظر: الطباطبايي، ١٣٩٠ق، ج١٤: ٤١؛ ولتعيين معني ((ما)) ينظر: الطباطبايي، ١٣٩٠ق، ج١٨: ١٨٧)

٣ـ الصرف

علم بأصول يعرف بها أحوال الكلمة العربية بما لها من صحّة وإعلال، وقلب وإبدال، وأصالة وزيادة، وحذف، وإدغام، وبما يعرض لآخرهما ممّا ليس بإعراب ولا بناء. (دقر، د.ت: ١٤٠) تمّ تبيين القواعد الصرفية حسب السياق في تفسير الميزان أقلّ من القضايا البلاغية والنحوية. وفي التالي سيشير إلى شاهد منه؛ حيث يقول المفسرون في تبيين هيكل كلمة ((آتيكَ)) في آية ﴿قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ﴾ (النمل/٣٩) قائلا: يجوز أنْ يكون فعلًا مضارعًا من أتى وأنْ يكون اسم فاعل منه. (الطبرسي، ١٤١٢ق، ج٣: ١٩١؛ فخر الرازي، ١٤٢٠ق، ج٢٤: ٥٥٧؛ آلوسي، ١٤١٥ق، ج١٠: ٩٧؛ ابن عاشور، ١٤٢٠ق، ج١٩: ٢٦٤) يؤكّد العلامة الطباطبايي من الوجهين المحتملين على ((اسم الفاعل)) ويكتب بأنّ قوله: ((آتِيكَ بِهِ)) اسم فاعل أو فعل مضارع من الإتيان والأول أنسب للسياق لدلالته على التلبس بالفعل وكونه أنسب لعطف قوله: -((وَ إِنِّي عَلَيْهِ...)) وهو جملة اسمية- عليه[٥]. (الطباطبايي، ١٣٩٠ق، ج١٥: ٣٦)

يبدو أنّ هذا الكلام من العلامة يمكن نقده؛ لأنّه وفقًا للآيات وحتّى باستخدام آيات أخرى، فعلية ((آتيكَ)) تكون أكثر احتمالًا. حيث يخاطب سليمان عليه السلام في الآية السابقة الحضار قائلًا: ﴿قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَؤُا أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ (النمل / ٣٨) فقد استخدم في هذه الآية فعلين مضارعين من مادة ((أتي))، أي: ((يَأتِينِي)) و((يَأْتُونِي)). حسب الآية واستخدام هذين الفعلين سأل سليمان عليه السلام الجمهور بأنّه من يمكنه احضار سرير ملكة السبأ؟ ثمّ يجيبه شخصين معلنان استعدادهما تنفيذ طلب سليمان عليه السلام. واحد منهما ((عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ)) والثاني هو ((الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ)) في آية: ﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ . . .﴾ (النمل / ٤٠)

واعلان الاستعداد هنا لا يعني التلبس بالفعل؛ ذلك لعدم تحقيق الفعل حتّى الآن وسينفذ الفعل بعد إذن سليمان عليه السلام. لو استخدم اسم الفاعل في زمن الحال ولا الاستقبال سيكون بمعنى التلبس بالفعل. وجملة مثل ((زيد منطلق)) لاستخدامها في زمن الحال يدلّ علي إثبات الانطلاق بالفعل له كما في "زيد طويل وعمرو قصير" . (ابن يعقوب المغربي،

د.ت، ج١: ٣١٧) كما يقول ابوحيان بأنّ ((الْمُؤْمِنُونَ)) لو كان اسم الفاعل في زمن الحال في آية ﴿مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (آل عمران / ١١٠) فهي التلبس بالفعل.

فأخبر تعالى أنّ من أهل الكتاب من هو ملتبس بالإيمان وإنْ كان المراد باسم الفاعل هنا الاستقبال يكون قوله: منهم المؤمنون إخباراً بمغيب وأنّه سيقع من بعضهم الإيمان. (ابوحيان، ١٤٢٠ق، ج٣: ٣٠٢-٣٠٣) أو ابن عاشور يعتقد بأنّ "لَذائِقُوا الْعَذابِ" في آية ﴿إِنَّكُمْ لَذائِقُوا الْعَذابِ الْأَلِيمِ﴾ (الصافات / ٣٨) اسم الفاعل حقيقة في الحال، أي حال التلبس، فإنّه لما قيل لهم هذا كانوا مشرفين على الوقوع في العذاب وذلك زمن حال في العرف العربي. (ابن عاشور، ١٤٢٠ق، ج٢٣: ٢٨)

وسبب العلامة الثاني لتكون كلمة ((آتِيكَ)) اسم الفاعل على أساس السياق، هو إذا تكون كلمة ((آتِيكَ)) اسم الفاعل، عطف جملة ((وَ إِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ)) عليها فسيكون الأفضل. ذلك لأنّ العطف في هذه الحالة سيكون من باب عطف الجملة الاسمية على الجملة الاسمية الأخرى. (وكونه أنسب لعطف قوله: -(وَ إِنِّي عَلَيْهِ...) وهو جملة اسمية- عليه). ويكون هذا السبب غير متقن، ذلك لأنّ جملة ((وَ إِنِّي عَلَيْهِ...)) عطفت على جملة ((أَنَا آتِيكَ بِهِ ...)) الاسمية ولا - ((آتِيكَ)) -. مهما كانت كلمة ((آتِيكَ)) اسم الفاعل أو فعل المضارع. وللمزيد من الشواهد ينظر: (الطباطبايي، ١٣٩٠ق، ج١٤: ١٢٠؛ ج١٤: ١٢٢)

نتائج البحث:-

بناءً على ما تمّ تحريره لقد اهتمّ العلامة الطباطبايي في تفسير الميزان بتبيين القواعد الأدبية في العلوم الثلاثة أي البلاغة والنحو والصرف، مستفيداً سياق الآيات. تمّ تبيين علم البلاغة بفروعه الثلاثة المعاني والبيان والبديع. ولعلم المعاني أكبر حصة بالنسبة لسائر العلوم البلاغية، حيث درس الخبر والانشاء، والقصر والإيجاز والإطناب فيه. وقد درس في علم البيان الكناية وفي علم البديع تمّ تبيين أسلوب الالتفات معتمداً على سياق الآيات. وفي علم النحو لقد تمّ تبيين مباحث تتعلق باسم (المرفوعات، والمنصوبات والتوابع) والحروف (تعيين معانيها) حيث تتضمن:

١- المرفوعات: تبيين مرجع الضمير الفاعلي، ونائب الفاعل والمبتدا والخبر.

٢- المنصوبات: تبيين الناصب، وتعيين المفعول به، وتبيين المفعول به المحذوف، والمفعول فيه، والحال والاستثناء.

٣- التوابع: الصفة وعطف النسق.

وقد تمّ تبيين حروف من مثل: واو، من، لام، لولا، اَنْ، اِنْ و ما، في باب معاني الحروف. أمّا بالنسبة إلى تبيين القواعد الصرفية معتمداً على سياق الآيات، فله أقلّ الاستخدام قياساً على القضايا البلاغية والنحوية، حيث درس من القواعد الصرفية ثلاثة مصطلحات فقط. وقد بدا من جميع الأبحاث الّتي أجريت، أنّ العلامة الطباطبايي استطاع أنْ يشرح العلوم الأدبية المتعلقة بالآيات معتمداً على السياق في كثير من الحالات ولا سيّما في تحليل القواعد النحوية الّتي اكتفى قدماء المفسرين على اختيار وجوه مختلفة، دون تفضيل إحدى الوجوه المحتملة؛ غير أنّ العلامة اختار جانباً واحداً معتمداً على السياق مبيناً علة اختياره. ويبدو أنّه على الرغم من النجاح في الافادة من السياق، فقد حدث خطأ في حالات قليلة من تحليله.

هوامش البحث

(١)- إذا احتمل التقدير في الكلام وليس هناك دلالة على التقدير فالأصل عدمه. (مظفر، ١٣٧٥ش، ج١: ٣٠)

(٢) - تبدو من آية ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ (الإسراء / ١١٠)، أنّ المشركين كانوا يعلافون اسمي ((اللّه)) و ((الرّحمن)).

(٣)- يختار البدل، فيما بعد ((الّا)) في كلام غير موجب ذكر فيه المستثنى منه نحو: ﴿مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ (النساء/٦٦) (استرآبادي، ١٣٨٤ش، ج٢: ٩١)

(٤) - العطف على الضمير المجرور بلا إعادة الجار غير جائز(سيوطي، د.ت، ج٢: ١٤٥؛ ابن انباري، د.ت، ج١: ٢٤٢؛ جامي، د.ت، ج١: ٣٣٣)

(٥) - يبدو أنّ قول العلامة مأخوذ من تفسير روح البيان: آتيك إما صيغة مضارع. فالمعنى بالفارسية [من بيارم آنرا بتو] أو الفاعل، و المعنى [من آرنده‌ام آنرا بتو] و هو الأنسب لمقام ادعاء الإتيان بلا محالة وأوفق بما عطف عليه من الجملة الاسمية اي: أنا آت به في تلك المدة البتة. (حقي بروسوي، د.ت، ج٦: ٣٤٩)

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم
- آلوسي، محمود بن عبدالله (١٤١٥ق). روح المعاني في تفسير القرآن العظيم و السبع المثاني. بيروت: دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون.
- ابن ابي‌حاتم، عبدالرحمن بن محمد (١٤١٩ق). تفسير القرآن العظيم. رياض: مكتبة نزار مصطفى الباز.
- ابن اثير جزري، مبارك بن محمد (١٣٦٧ش). النهاية في غريب الحديث و الأثر. قم: موسسه مطبوعاتي اسماعيليان
- ابن انباري، عبد الرحمن بن محمد (د.ت). الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحو البصريين والكوفيين. بيروت: المكتبة العصرية.
- ابن جوزي، عبدالرحمن بن علي (١٤٢٢ ق). زاد المسير في علم التفسير. بيروت: دار الكتاب العربي.
- ابن عاشور، محمدطاهر (١٤٢٠ ق). تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور. بيروت: مؤسسة التاريخ العربي.
- ابن فارس، أحمد بن فارس (١٤٠٤ق) معجم مقاييس اللغة. قم: مكتب الاعلام الاسلامي.
- ابن هشام، عبد الله بن يوسف (د.ت). شرح قطر الندى وبل الصدى، قم: ذوي القربى.
- ابن يعقوب مغربي، احمد بن محمد (د.ت). مواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح. بيروت: دار الكتب العلمية.
- ابوحيان، محمد بن يوسف (١٤٢٠ ق). البحر المحيط في التفسير. بيروت: دار الفكر.
- اميل، يعقوب،(١٣٦٧ش). موسوعة النحو والصرف والإعراب. بيروت: دار العلم للملايين.
- بابتي، عزيزة فوال (د.ت). المعجم المفصل في النحو العربي. بيروت: دار الكتب العلمية.
- بيضاوي، عبدالله بن عمر (١٤١٨ ق). أنوار التنزيل وأسرار التأويل. بيروت: دار إحياء التراث العربي.
- تفتازاني، مسعود بن عمر(١٣٧٦ش). مختصر المعاني (تفتازاني). قم- ايران: دار الفكر.
- جامي، عبد الرحمن بن احمد (د.ت). شرح ملا جامي على متن الكافية في النحو. بيروت: دار إحياء التراث العربي.
- حسيني خراساني، قاسم (د.ت). قواعد النحوية. قم - ايران: حوزه علميه قم.
- حقي برسوي، اسماعيل بن مصطفى (د.ت). تفسير روح البيان. لبنان- بيروت: دار الفكر.
- خطيب قزويني، محمد بن عبدالرحمن (د.ت). الإيضاح في علوم البلاغة، المعاني والبيان والبديع. بيروت: دار الكتب العلمية.
- دقر، عبد الغني (د.ت). معجم القواعد العربية في النحو والتصريف. قم - ايران: الحميد.
- رشيد فالح، جليل (١٤٠٤ق). فوائد الالتفات في مباحث البلاغين. آداب المستنصريه، شماره٣٦.
- رضا، محمد رشيد (١٤١٤ق). تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار. بيروت: دار المعرفة.

- رضي الدين استرآبادي، محمد بن حسن (١٣٨٤ش). شرح الرضي على الكافية. ايران: موسسة الصادق.
- زركشي، محمد بن عبد الله (١٤١٠ ق). البرهان في علوم القرآن. بيروت: دار المعرفة.
- زمخشري، محمود بن عمر (١٤٠٧ ق). الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل. تصحيح مصطفى حسين احمد، لبنان- بيروت: دار الكتاب العربي.
- سبكي، على بن عبد الكافي(د.ت). عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، بيروت.
- سكاكي، يوسف بن ابي بكر (د.ت). مفتاح العلوم. بيروت: دار الكتب العلمية.
- سيوطي، جلال الدين (١٤٢١ق). الإتقان في علوم القرآن. بيروت: دار الكتاب العربى.

_____(د.ت). الأشباه و النظائر في النحو. بيروت: دار الكتب العلمية.

_____(د.ت). جمع الجوامع في النحو. قاهره: مكتبة الآداب.

- صفايى، غلامعلي (١٣٨٦ش). بداءة النحو. قم - ايران: مديريه العامه للحوزه العلميه، لجنه ادراه.
- صفي‌الدين حلي، عبدالعزيز بن سرايا (د.ت). شرح الكافية البديعية، بغداد: مركز البحوث والدراسات الإسلامية.
- طباطبايى، محمدحسين (١٣٩٠ ق). الميزان في تفسير القرآن. بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات.
- طبرسي، فضل بن حسن (١٣٧٢ ش). مجمع البيان في تفسير القرآن. طهران: ناصر خسرو .

_____(١٤١٢ق). تفسير جوامع الجامع. قم: حوزه علميه قم، مركز مديريت.

- طبري، محمد بن جرير (١٤١٢ق). جامع البيان في تفسير القرآن. بيروت: دار المعرفة.
- عكبري، عبدالله بن حسين (١٤١٩ ق). التبيان في إعراب القرآن. رياض: بيت الأفكار الدولية.
- فخر رازي، محمد بن عمر(١٤٢٠ ق). التفسير الكبير(مفاتيح الغيب). بيروت: دار إحياء التراث العربي.
- قاسم، محمد احمد(د.ت). علوم البلاغة، البديع والبيان والمعاني. ليبيا: مؤسسة الحديثة للكتاب.
- قرطبي، محمد بن احمد (١٣٦٤ ش). الجامع لأحكام القرآن. ايران- طهران: ناصر خسرو.
- قمي، على بن ابراهيم (١٣٦٣ش). تفسير القمي. تحقيق طيب موسوي جزايري، قم: دار الكتاب.

_____(١٤٠٤ ق). تفسير قمي. قم: دارالكتاب.

- مظفر، محمدرضا (١٣٧٥ش). أصول الفقه. قم: د.ن.
- معرفت، محمد هادي (١٤١٥ق). التمهيد في علوم القرآن. قم: مؤسسة النشر الاسلامى.
- موسوي سبزواري، عبدالاعلى(١٤٠٩ ق). مواهب الرحمن في تفسير القرآن. د.ب: دفتر سماحه آيت الله العظمى السبزواري.
- نحاس، احمد بن محمد (١٤٢١ ق). اعراب القرآن. بيروت: دار الكتب العلمية.
- هاشمي، احمد(١٣٨١ ش). جواهر البلاغة. قم- ايران: مركز مديريت حوزه علميه قم.

_____(د.ت). القواعد الأساسية للغة العربية. بيروت - لبنان: موسسه المعارف.